مواصلات الموارنة مع رومية

نبذة في مزاعم حضرة الاب بولس قرألي

بقلم الخوري لويس المازن

كتبنا في مجلة « المشرق » الغراء ، السنة ٣٥ (ص ٢٥٦ – ٢٦٣) كلمة عن كتاب حضرة الاب بولس قرألي باللغة الايطالية المعنون : « فخر الدين المعني الثاني حاكم لبنان ودولة تسكانا » وبعد ان ذكرنا باسهاب ما حوى من حسنات وفوائد بين دفتيه ، اشرنا بكلمة مقتضبة الى بعض ما فيه من غث . فلم يرق حضرة الاب قرألي ذلك ونقحنا في الجزء الرابع من السنة المذكورة للمشرق (ص ٥٢٦ – ٥٣٤) بردّ اتهمنا به بكل فرية مثل نكران الجميل (ص ٥٣١) والدس (ص ٥٣٢) وعدم معرفة صحة المنطق (ص ٥٣٣) وانا شوهنا كتابه (ص ٥٣٤) واعلن للملأ بانه لم يجنِ فائدة من نقدنا ولا استفاد ملاحظة سديدة يسترشد بها (ص ٥٢٦) الى اخر ما هنالك . ثم ختم كلامه (ص ٥٣٤) بدليل على تيسة كتابه ان المجمع العلمي الايطالي انفق عليه غن سخاء زهاء خمسين الف فرنك ايطالي .

قلنا : وقد فات حضرته بان قوة العلم والنقد لا تتفق غالباً مع قوة التجارة وكسب المال . . .

لاحظنا على حضرته مثلاً بانه لم يقل لنا كلمة عن وستنفلد وعن روجه ده سان پيار (ص ٢٦١) فافادنا (ص ٥٢٨) بان الاول نقل عن ماريتي والثاني عن الاب روجيه . فلو كان ابدى هذه الملاحظة في كتابه عند ذكر المصادر لكفانا مؤنة التنبيه اليها . كذلك ايضاً فانه قد اصلح في كتابه العربي اسم الكتاب فقال : « فخر الدين المعني الثاني امير لبنان : ادارته وسياسته »

ولكن هرباً من تطويل الكلام واضاعة الوقت بمسائل لا فائدة منها ، احتكم الى القراء واضعاً نصب اعينهم النص الكامل لقوله حيث اتهمني بالدس

الذي لا يجوز شرعاً وذمة. فقد قلت في نظرتي النقدية (ص ٢٦٢ من المشرق) ما نصه:

« نرى حضرة الاب قرألي ينسى احياناً ما قاله. فيظهر لنا مثلاً فخر الدين مثال العدالة (وجه ٣٧) ثم يقول (وجه ٩٨) انه كان يقطع انفاس كل من يتذمر منه او يطالبه بعدل. »

فاجاب حضرته (ص ٥٣٢) بما نصه :

« .. اما عبارة « يقطع انفاس من يطالبه بعدل » فلم ترد في كتابنا بل دسّها حضرته علينا وهو ما لا يجوز شرعاً وذمة. »

وهاك النص الايطالي:(ص ٩٨)

« ...mozzava il respiro al colunniatore, o meglio al reclamente ; giacché troppo giuste erano le legnanze contro di lui. »

وهاك الترجمة :

« ... كان يقطع انفاس المغتاب او بالاحرى المطالب لان الشكايات منه كانت عادلة جداً »

هذا كلامه بنصه واترك للقراء الحكم بيني وبينه واقول لهم مع شاعر الرومان ڤرجيل :

Et crimine ab uno disce omnes »

اي « من ذنب واحد اعرف الكل »

اخيراً ان ما يدلك على مقدرة الاب قرألي العلمية قوله (ص ٥٣١) في معرض نقده لي بانني نشرت مقالاً في فخر الدين في مجلة « المنارة » واخطأت، على زعمه، في تعريب اسم الامير طرابيه ، وقلت له لما لفت نظري الى ذلك في حينه ان اسماء الاعلام يجب ان تنقل كما هي ، فقال: اذا التقينا مثلاً في كتاب افرنسي باسماء موسى ويسوع ومحمد تحتم علينا اذن ، تبعاً لهذه القاعدة المطردة ، ان ننقلها الى قراء العربية « موييز » و« جاسوس » و« ماهوميت »

فاجيب انني لم انشر مقالة في « المنارة » القراء عن فخر الدين ، بل عربت ما جاء في كتاب روجيه Roger وقلت لحضرته حينئذٍ ان القاعدة المرعية في

نقل الاسماء من لغة الى اخرى عند علماء النقد[1] ، ولا سيما عند اختلاف احرف الكتابة ، اما ان يعمد الكاتب الى اصطلاح يشير اليه في المقدمة بان الحرف كذا يقابله في اللغة المنقول عنها كذا ، او ان ينقل الاسم باحرف تقارب اللفظ الوارد فيه وينقل الى جانبه الاسم باللغة التي ورد فيها . وهكذا فعلت فعربت اسم الامير كما اورده الكاتب: Therabet تيرابيت

فاين الخطأ ؟

ولكن العبرة ليست في تعريب اسم على نوع ما مجهول ، بل فيما اورده حضرته من الامثال . فكاني به يزعم ان اسم الامير « طربيه » له من الشهرة التي لا يجوز ان تجهلها صبية المدارس ما للاسماء موسى ويسوع ومحمد . . .

وقد اشرت انني في معرض تعريب مقال كاتب ولست في معرض تأليف علمي .

فالخطأ كل الخطأ عند ايراد اقوال تختلف تماماً عمّا جاء في الاصل المنقول عنه مما يدل على جهل اسرار اللغة التي ينقل عنها . وقد وقع في ذلك حضرة الاب قرالي اكثر من مرة ، كما يتضح لك عن قريب ، وهذا ما حدانا كما حدا غيرنا الى الظن بان حضرته لم يضع النص الايطالي لكتابه بل استأجر من وضعه له وهكذا نفهم سبب المناقضات التي وقع بها كما اشرت .

وقبل اعطاء الحجة على صحة زعمي ، القي نظرة اجمالية على تآليف الاب قرالي التي نشرت بعد كتابه الايطالي المذكور ، وفي كلها عبر مفيدة :

١ « فخر الدين المعني الثاني امير لبنان » طبع سنة ١٩٣٧ . وهو يقع في ١٥٦ صفحة . وما هو الا تعريب الشطر الاول من الكتاب الايطالي ، وقد اسمى الكتاب الايطالي الجزء الاول كما اشار الى ذلك ايضاً في الكتاب المعرب .

بيد ان هذا التقسيم لا يوافق واقع الحال ، لان الثاني ليس جزءاً من كل

---

١) طالع مثلاً كتاب العلامة الاب اليسوعي ليوبلد فونك Leopold Fonck, *Il Metodo del Lavoro Scientifico*, Roma, 1909. p. 258-262.

يتبع بعضه بل هو تعريب فقط . وهو خالٍ من كل فهرس سواء كان للمواد او للاعلام. وهذا نقص غير جائز عند ارباب العلم في عصرنا الحاضر.

٢ « فتوحات ابراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا». حريصا سنة ١٩٣٨ . وهو يقع في ٩٦ صفحة ، وقد عربه عن تقارير انطون كتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا سنة ١٨٣١-١٨٤١ وجاء في المقدمة ما نصه: « ان هذه التقارير مكتوبة باللغتين الفرنساوية والايطالية عربناها للقراء حرفياً »

ولا يفهم من كلام حضرته هل كانت تلك التقارير محررة كلها باللغتين المذكورتين او ان البعض منها بهذه اللغة والبعض الاخر بتلك . ولكن يتضح من الترجمة ان بعضها كتب بهذه اللغة والبعض الاخر بتلك . والتأليف خالٍ من فهرس هجائي ومن فهرس للاعلام.

٣ « استشهاد ابراهيم اماره في دمشق سنة ١٨٤٠ نقلاً عن محضر القضية الاصلي». حريصا سنة ١٩٣٧ . وهو يقع في ٩٠ صفحة وخالٍ من فهرس للاعلام ومن فهرس هجائي.

٤ « حروب المقدمين من سنة ١٠٧٥ - ١٤٥٠». بيت شباب سنة ١٩٣٧ . خالٍ من كل فهرس . يقع في ٩٦ صفحة ، ويقسم الى قسمين: يتضمن القسم الاول زجلية للمطران جبرائيل اللحفدي المشهور بابن القلاعي ، اسقف قبرس الماروني ، المتوفى سنة ١٥١٦[1] . وفي الثاني ص ٨٥-٩٦ وثيقة قديمة اسمها نكبة كسروان ودير مار شليطا ولم يزل مخطوطها الكرشوني بين اوراق بكركي ، وهي منسوبة الى المطران تاودوروس مطران مدينة حماه ، وناسخها القس بطرس من قرية عجلتون.

فمع صرف النظر عن قيمة هاتين الوثيقتين التاريخية — لان مؤلفيهما يخبطان خبط عشواء في ايراد الحوادث والتواريخ . ولا عبرة لما زعمه حضرة الاب قرألي ص ٩٠-٩١ حيث لا يرى مناسباً ان يجاري الاب العالم ابرهيم حرفوش

---

١) اورد المؤلف في كتابه هذا نبذة عن ابن القلاعي ومؤلفاته بقلم حضرة الاباتي العالم البحاثة طوبيا النبعي ص ٧٩-٨٤

المرسل اللبناني في نبذ الوثيقة الاخيرة جانباً . « وعذرنا عائد الى فقرنا المدقع بالمصادر التاريخية الراجعة الى القرون الاولى والوسطى من تاريخنا. فنحن كالجائع يلتقط الفتات بلهف ويزدردها بنهم لعجزه عن اشباع جوفه من الارغفة المستديرة والاطباق الملآنة. وكان هذا شأننا مع زجلية ابن القلاعي التي رذلها بناؤو تاريخنا فاعتبرناها رأساً للزاوية في صرحه »

فانت ترى ان حسر بصيرة الاب قرألي في النقـد تجعله يجنح عن الصواب لانه، سواء جمنا او شبمنا ، فقيمة الوثيقة من حيث النقد والتاريخ هي هي لا تتغير كما لا يغرب.

ـــ قلت مع صرف النظر ، لان ليس من غايتي مثل هذا البحث. ولكن الفت نظر القراء الى غلط فادح ارتكبه حضرة الناشر الاب قرألي حيث قال في مقدمة الكتاب ما نصه حرفياً :

« في تاريخ الطائفة المارونيـة ثغرة واسعة تمتد من اواخر القرن السابع المسيحي الذي نشأت فيـه الى اواسط القرن الخامس عشر الذي عادت فيه مواصلاتها مع رومية. »

ولا نخال كثيرين من علماء الموارنة يسلمون معه بان نشوء الطائفة المارونية كان في اواخر القرن السابع المسيحي. واغرب من ذلك قوله بان مواصلات الطائفة المارونية مع رومية عادت في اواسط القرن الخامس عشر. لانه من الحقائق الراهنة الواضحة كالشمس انـه ، اذا كان يوجد بعض الغموض في تاريخ مواصلات الموارنة مع رومية ، فهو قبل عهد البابا زخيا الثالث (١١٩٨—١٢١٦) Innocent III (1198-1216) اي قبل اواسط القرن الثاني عشر ، ويكفي تدليلاً على صدق هذا القول القاء نظرة على مجموعة البراءات المرسلة للموارنة والتي نشرها حضرة الاب العالم طوبيا العنيسي في كتاب يقع في ٥٧٦ صفحة في رومية *Bullarium Maronitarum*, Romae, 1911 واول براءة في المجموعة المذكورة هي من البابا زخيا الثالث ، بتاريخ ١٢١٥ . ثم يليها براءات من سائر البابوات الى عهد لاون الثالث عشر حيث تنتهي المجموعة المذكورة.

ولكن كما نوهت ليس من دأبي البحث في هذه العجالة عن تاريخ الموارنة

او خلافه انما التدليل على ان اقوال حضرة الاب قرألي لا يعوّل عليها . لانه ، وان يكن ذا فضل بما نشره من الوثائق القيمة ، الا ان تآليفه كلها لا تدل على علم وفن راهن يرتكز عليه ارباب العلم والنقد. ويطول بي الكلام لو اردت تتبع خطواته في كل ما نشره لان ذلك يتطلب تحيصاً ودرساً لا يتسع لهما وقتي ، وقد رأى القراء قسماً من ذلك فيما قلته عن كتابه الايطالي فخر الدين المعني الثاني وعلاوة عن ذلك فاني اكتفي بتقديم دليل على صدق اقوالي بانتقاد كتيب نشره اخيراً تحت عنوان « لبنان في السنة ١٦٤٣ نقلاً عن تقرير الاب فيتالي . عربه وعلق حواشيه الخوري بولس قرألي ، مطبعة صدى الشمال سنة ١٩٣٨ »

وهو اولاً خالٍ من كل فهرس وحاوٍ التعريب والاصل الايطالي. فالتعريب يقع في ٢٥ صفحة والايطالي في ٣٣ .

ثانياً ان الترجمة ، فضلاً عن انها غير متينة في مواضع كثيرة ، وفضلاً عن ان المؤلف اهمل تعريب بعض كلمات واسامي ربما لانه لم يفقه معناها ، فقراها بعيدة عن الصواب والمعنى احياناً كثيرة.

وهاك امثلة من النوع الاخير:

جاء في ص ١٣ عدد ١٤ من التعريب في معرض الكلام عن الارز ما نصه:

« هذا ما حمل الاقدمين على احاطة هذه الاشجار بمظاهر الاعتبار . فنصبوا حول خمس منها مذابح يقام عليها في عيد التجلي الواقع في السادس من آب قداس صارخ يحتفل به عادة السيد البطريرك وتزدحم حوله الجماهير ازدحاماً شديداً ويحضره حاكم تلك المقاطعة وينصب ديواناً متنازاً يلبي فيه من الطلبات ما امكنه . »

بيد ان الاصل الايطالي هو ص ٢١ عدد ١٤:

« ولهذا حافظ عليها (الاشجار) قدماؤنا باحترام عظيم وشيدوا قرب خمس منها خمسة مذابح يقام عليها يوم عيد تجلي الرب الذي يقع في ٦ آب قداس

حبري يحتفل به عادة السيد البطريرك ويحضره جمع غفير من الشعب ويعمل حاكم المقاطعة وليمة عامة يدعو اليها كل من اراد ان يأكل » Corte bandita اي العيش لمن عاش. فترجمها حضرة الاب قرألي :

« ينصب فيه ديواناً ممتازاً يلبي فيه من الطلبات ما امكنه »

وفي صفحة ٨ ايطالي عدد ٢ يقول المؤلف : « ان يكن اكثر هذه الأديار غير مأهول »

وفي الترجمة ص ٨ عدد ٢ لا اثر لذلك . اي ان الاب قرألي اهمل ترجمة هذه الجملة.

في ص ٩ يوجد فرق كبير بين ما قيل بالايطالي عن جبيل وبين الترجمة العربية.

في ص ٩ — ١٠ ايطالي قيل عدد ٣ :« وفي هذا الاقليم عاش ومات القديس يوحنا مارون اول بطرك على الموارنة وهنالك يكرم جسمانه في كنيسة شيدت على اسمه وفيه ايضاً كانت كرسي بطاركة الطائفة المذكورة حتى سنة ١٤٦٠ »

بيد ان المعرب ص ٩ عدد ٣ يقول « والى هذه المدينة جاء يوحنا مارون البطريرك الاول على الطائفة المارونية وفيها توفي ودفن في كنيستها المشيدة على اسمه واتخذها البطاركة خلفاؤه كرسياً لهم حتى السنة ١٤٦٠ »

في ص ١٣ ايطالي قال في الحاشية قولاً يختلف عما قاله بالصدد نفسه في الترجمة ص ١١ من الترجمة

ص ١٦ ايطالي ورد اسم كفرة Acefali (تاركي سلطة البابا والمجامع) وأهمل ص ١٣ من الترجمة

ص ١٦ قال المؤلف الايطالي ان يوحنا مارون اول بطرك على الموارنة عاش وكتب سنة ٦٠٠ مسيحية فلم يترجم ذلك حضرة المعرب ص ١٤ من الترجمة

ص ٢٣ ايطالي عدد ١٦ قيل ان اليسونة تخص الموارنة ، وحضرة المعرب ص ١٩ عدد ١٦ قد اهمل ذلك .

ص ٢٢ من الترجمة قيل في الحاشية « راجع ما قلناه في كتابنا ف ٢١٢ حاشية ١ » ولم يقل لنا حضرته اي كتاب من كتبه يعني .

ص ٢٤ ايطالي عدد ١٦ وردت كلمة visciole وهو نوع من الكرز شبه به البربريس ولم ترد ترجمة هذه الكلمة في العربي ص ١٩ عدد ١٦. اخيرًا ص ٢٤ من الترجمة عدد ٢٣ قيل : « فاختبأ بين قصب كان هنالك بقرب النهر» والمعنى الايطالي ص ٣١ عدد ٢٣ «سقط على القصب قرب النهر »

* * *

ـ هذه بعض امثلة رأيت مناسباً اثباتها بايجاز كلي خدمة للنقد والعلم الصحيحين . وقد اهملت اغلاطاً كثيرة غير هذه واردة في الصفحات ١٥ و١٦ و١٨ و٢٠ و٢٤ من الترجمة . فعلى القارئ النزيه ان يحكم مما تقدم على سائر مؤلفات الاب ترائلي حكماً سديداً ، والله يهدي كل انسان الى الصواب ويسدد خطوات الجميع .